ما معنى اسم «الشام»؟

في لفظ الشام لغات:

الشَّأْم: بفتح الشين، وهمزة ساكنة.

الشَّأَم: بفتح همزته؛ مثل نَهْر، ونَهَر.

الشَّام: بغير همز.

الشَّآم: بألف ممدودة.

ويُقال: رجلٌ شَأْميّ، وشآمٍ، وشَآميّ.

وامرأة شأميّة ـ بتشديد الياء ـ، وشآميَة ـ بتخفيف الياء ـ.

وتَشَأَّمَ الرجل ـ بتشديد الهمزة ـ: نُسب إلى الشام، كما نقول: تقيّس، وتكوّفَ، وتنزّر، إذا انتسب إلى: قيس، والكوفة، ونزار، وأشأم: إذا أتى الشام، واسم الفاعل «المشئم».

قال بشْر بن أبي خازم:

سمعتْ بنا قيلَ الوشاةِ فأصبحتْ صَرَمَتْ حبالَكَ في الخَليطِ المُشْئِمِ

.. وأما اشتقاق الاسم، ففيه أقوالٌ:

الأول: مأخوذ من اليد الشؤمى، وهي اليسرى، وإذا صح هذا التفسير، فإنه يكون على التشبيه، فبلاد العرب تقسم إلى ثلاثة أقسام: الوسط، وما كان يمينه، فهو بمنزلة اليد اليمنى، وما كان يساره، فهو بمنزلة اليد اليسرى. أو كأنَّ بلاد العرب طير له جناحان؛ فالشام بمنزلة الجناح الأيسر، والله أعلم.

الثاني: الشام، بدون همزة، جمع شامة، سميت بذلك لكثرة قراها وتداني بعضها من بعض، فشبهت بالشامات.. وهذا تعليل مقبول أيضاً.

الثالث: لأن قوماً من كنعان خرجوا عند التفرق، فتشاءموا إليها؛ أي: أخذوا ذات الشمال، فسميت بالشام لذلك، يعني: أن «الشام» بمعنى

«الشمال»، وهذا قول مقبول؛ فالشام تقع في شمال جزيرة العرب، أو هي الجزء الشمالي من جزيرة العرب، وفيه إشارة إلى أن الكنعانيين هاجروا من جهة ما من جزيرة العرب إلى الشام.

الرابع: أنها سميت بـ«سام بن نوح»، وهذا كذبٌ؛ لأن التاريخ لا يعرف أسماء أبناء نوح إلا من كِتاب يهود، وهو من اختراع اليهود. لقد صادف أن الاسمين على وزن واحد.. شام ـ وسام.

وربما كانت «الشام» بمعنى اسم «سام» باللهجة العربية العتيقة، و«سام» بمعنى «اسم»، و«الشام» صارت بالشين، وهي في إحدى اللهجات كذلك.

فكلمة «اسم» بالعربية، يقابلها لفظ «شم» باللهجتين الكنعانية والآرامية. و«شومو» باللهجة البابلية.

الخامس: لأنها شأمة القبلة.

قال ياقوت: وهذا قول فاسد؛ لأن القبلة، لا شأمة لها ولا يمين؛ لأنها مقصد من كلّ وجه، يمنة لقوم، وشأمة لآخرين.

قلتُ: بل هو قول مقبول؛ لأن «شأمة» بمعنى «شمال»؛ أي: جهة الشمال، وإذا نظرت إلى بلاد الشام، فإنك تجدها تقع إلى الشمال من مكة.

وكلمة «شامة» ـ بمعنى شمال ـ ما زالت مستعملة في فلسطين، يقول أحدهم إذا أراد أن يتجه إلى الشمال: (أنا ذاهب شامة)، والله أعلم.

واسم الشام وضعه العرب قبل الإسلام، فقد جاء في شعر زامل بن غفير الطائي يمدح الحارث الأكبر أحدَ ملوك الغساسنة؛ حيث قال:

وتأبيَّ بالشآم مفيدي حسرات يقددن قلبي قداً

وقال جبلة بن الأيهم، عندما فرَّ إلى بلاد الروم:

ويا ليت لي بالشام أدنى معيشةٍ أجاور قومي ذاهبَ السمْعِ والبصرْ

.. وجاء لفظه في الأحاديث النبوية الصحيحة التي تخاطب الصحابة بلغة عهدوها قبل إسلامهم.

• **حدود بلاد الشام:**

قال ياقوت الحموي في كتاب «معجم البلدان» : أما حدود الشام ، فمن الفـرات إلى العريش ، المتاخم للديار المصرية .

وأما عرضها ، فمن جبلي طيّئ من نحو القبلة إلى بحر الروم (البحر المتوسط) ، وما بشأمة ـ شمال ـ ذلك من البلاد .

وبها من أمهات المدن : منبج ، وحلب ، وحماة ، وحمـص ، ودمشـق ، والبيـت المقدس ، والمعرّة : معرة النعمان .

وفي الساحل : أنطاكية ، وطرابلس ، وعكا ، وصور ، وعسقلان ، وغير ذلك .

وهـي خمسـة أجنـاد (أقسـام إداريـة) : جُنْد قِنَّسْرين ، وجنـد دمشـق ، وجنـد الأردن ، وجند فلسطين ، وجند حمص .

ويَعُدُّ في الشام أيضاً الثغور ، وهي : المصيصة ، وطرسوس ، وأذنة ، وأنطاكيـة ، وجميع العواصم من مرعش ، والحدث ، وبغراس ، والبلقاء ، وغير ذلك .

وطولها من الفرات إلى العريش نحو شهر (1200 كيل تقريباً) ، وعرضـها نحـو عشرين يوماً (800كيل تقريباً) .

وبـهذا التحديـد تشـمل الشـام الأقطـار التاليـة : الأردن ، وفلسـطين ، ولبنـان ، وسورية كاملة . وتشمل أجزاء من : جنوب تركيا ، ومن العراق حتى حدود الفـرات ، وشمال السعودية (تبوك ، وحائل ، ودومة الجندل ، والقريات) ، وشـمال مصـر ، إلـى العريش .

■ **منزلة الشام في النصوص الإسلامية (القرآن والحديث النبوي) وفي السيرة النبوية.**

لم يرد لفظ «الشام» في القرآن الكريم، ولكن وردت الإشارة إليه في آيات، تنصّ على أرض الشام، ولا يخرج معناها ومضمونها عن أرض الشام.

فقوله تعالى: ﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ ﴾ [الإسراء: 1] يشير إلى أرض الشام؛ لأن المسجد الأقصى في القدس، والقدس من الشام. وقال: ﴿ بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ ﴾، و ﴿ حَوْلَهُۥ ﴾ وهو الشام.

وقال: ﴿ وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: 71] ومعلوم أن إبراهيم إنما نجاه الله ولوطاً إلى أرض الشام.

وفُسر قوله تعالى؛ في قصة سبأ: ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَـٰهِرَةً ﴾ [سبأ: 18] بأن القرى التي بارك الله فيها، هي قرى الشام.

أما الأحاديث النبوية التي ذكرت اسم «الشام»، فهي كثيرة جداً، منها الصحيح، ومنها الحسن، ومنها الضعيف، وأكثرها موضوع، ومن الأحاديث ما أشار إلى بلاد الشام إشارة، ومنها ما جاء فيه اسم «الشام» نصاً.

أما الأحاديث التي تشير إلى الشام، فهي الأحاديث التي ذكرت المسجد الأقصى في بيت المقدس، ومنها حديث: «لا تشدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد.. وذكر المسجد الأقصى».

والحديث الذي يذكر تفاضل الصلوات في المساجد الثلاثة، ومنها المسجد الأقصى، وتفضل الصلاة فيه غيرها في المساجد الأخرى ما عدا مسجد مكّةَ ومسجد المدينة.

وحديث الإسراء بالنبي محمد ﷺ إلى بيت المقدس.

وقد أخذ من هذه الأحاديث فضل القدس، وفضل بلاد الشام تبعاً للقدس؛ لأنه من الشام.

والأحاديث في الموضوعات السابقة صحيحة.

وأما الأحاديث التي تذكر اسم الشام، فمنها قول النبي ﷺ: «يا طوبى للشام، يا طوبى للشام، يا طوبى للشام!. قالوا: يا رسول الله، وبم ذلك؟ قال: تلك ملائكة الله باسطو أجنحتها على الشام». [مناقب الشام للربعي]. قال الألباني: هو حديث صحيح.

وقال ﷺ: «ستجندون أجناداً: جنداً بالشام، وجنداً بالعراق، وجُنداً باليمن».

قال عبد الله بن حوالة راوي الحديث: فقمتُ فقلتُ: خرْ (اختر) لي، يا رسول الله! فقال: «عليكم بالشام، فمن أبى، فليلحق بيمنه، وليستقِ من غُدُره - جمع غدير الماء - فإن الله - عزّ وجل - قد تكفّل لي بالشام وأهله».

قال ربيعةُ: فسمعتُ أبا إدريس يحدث بهذا الحديث، يقول: «ومَنْ تكفّل الله به، فلا ضيعة عليه».

قال الألباني: حديث صحيح جداً «فضائل الشام ودمشق» للربعي.

وقال رسول الله ﷺ: «إني رأيتُ عمود الكتاب انتزع من تحت وسادتي، فنظرتُ، فإذا هو نورٌ عُمِدَ به إلى الشام، ألا إنَّ الإيمان إذا وقعت الفتن بالشام».

قال الألباني: حديث صحيح[1].

---

(1) الحكم بالصحة غالباً، يُراد به أن رجال السند مشهود لهم بالصدق فيما يروون، ويترتب عليه أن المتن صحيح النسبة إلى قائله. والثقة في رجال السند أمر معقول، فهناك كثير من الرجال الذين يحرمون على أنفسهم قول الكذب؛ لأنه ينافي المروءَة، فكيف إذا اجتمع مع المروءة خوف من الله، وكان المتن منسوباً إلى رسول الله؟.

أما متن الحديث: فمنه ما يمكن للعقل أن يدركه، أو يدرك بعض الحكمة منه.. ومنه ما يصعب على العقول إدراك مفهومه ومعناه، ويكون غالباً متعلقاً بأمور غيبية، وفي هذه الحال، يسلِّم المؤمن بما جاءَ في الحديث، ولو لم يعقله..

ومن ذلك الحديث السابق؛ فإنه لا يُراد مدلوله اللفظي، وإنما يُراد مدح هذا المكان؛ لزيادة تمسك الناس به، والدفاع عن ثغوره، والله أعلم.

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «الشام أرض المحشر والمنشر»، وفي رواية: يا نبيَّ الله! أفتنا في بيت المقدس، فقال: «أرض المحشر والمنشر»[1]. والروايتان صحيحتان، إن شاء الله.

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «إذا فسد أهل الشام، فلا خير فيكم، لا تزال طائفة من أُمتي منصورين لا يضرهم مَنْ خذلهم حتى تقوم الساعة»[2].

أما الأحاديث الموضوعة، فهي كثيرة جداً:

وقد قال علماء الحديث: إن باب فضائل المدن والأماكن، وباب فضائل ومناقب الرجال، من أودية الكذب، يعني: يكثر الكذب في فضائل الرجال والمدن؛ لأهداف سياسية، ودوافع وعظيّة دينيّة..

---

(1) قد نفهم معنى هذا الحديث، ونفسره بأن المحشر والمنشر، الكائنين يوم القيامة، ولا تقل: كيف يكون ذلك؟ فالله الذي أنطق محمداً ﷺ بهذا الكلام قادر، وقدرته ليس لها حدود. وربما أفهم «المحشر والمنشر» بأن رسول الله يخبر ـ وهذا من علامات النبوة ـ بأن الشام سوف يفتحه المسلمون، فإذا أردتم أن تتزاحموا، وتحشروا أنفسكم في أرض، فلتكن أرض الشام؛ لأن بلاد الشام، ومنها «بيت المقدس» ستكون ثغراً من ثغور المسلمين، تتوالى عليه هجمات الأعداء، من أول الفتح إلى قيام الساعة، فمن أراد أن يعمل الصالحات ـ وأفضلها الجهاد ـ فذلك في أرض الشام، فهناك تنشر الأعمال الصالحة، وتذاع، ويحمدها الله والناس.

(2) أفهم هذا الحديث: أن فساد أهل الشام يعني انحلالهم وضعفهم وعجزهم عن ردّ غزوات الأعداء. وأهل الشام هنا: كلّ مَنْ أقام في بلاد الشام، وقول رسول الله: «لا خير فيكم» يعني: لا خير فيما سواها من البلاد؛ لأن عجز أهل الشام عن دفع الأعداء عن الشام، يؤدي إلى وصول الأعداء إليكم أيها الساكنون فيما سوى الشام. وفي الحديث حثّ للعرب والمسلمين على إمداد أهل الشام بالرجال والمال؛ ليبقى الثغر قويّاً، فإذا سقط الشام الذي فيه القدس بيد الأعداء، عندئذٍ يصبح الحرمان في مرمى الأعداء..

وفي الانتفاضة الفلسطينية ما بين (2000 ـ 2004م) كان الفلسطينيون يستغيثون قائلين: إننا خط الدفاع الأول عن الأمة، فإذا سقطت البندقية من يدنا، تفرغ اليهود لكم أيها العرب... وهذا تفسير الحديث الأخير، والله أعلم. وفيه بشارة أن الأعداء لن يهزموا أهل الشام، وسوف تبقى فئة مجاهدة...

وفي إحصائية أثبتها الشيخ الألباني في مقدمة تحقيقه كتاب «فضائل الشام ودمشق» للربعي علي بن محمد المتوفى (سنة 444هـ)، قال: بلغت مجموع أخبار الكتاب (119) خبراً، وهي تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

1 ـ أحاديث مرفوعة إلى النبي ﷺ، وفيها الصحيح والضعيف والموضوع، ومجموعها مع المكرر (41) حديثاً.

2 ـ أحاديث موقوفة على بعض الصحابة وغيرهم من التابعين، ومَنْ دونهم، وجلها لا تصح أسانيدها؛ لأن مدارها على مجاهيل وضعفاء، ومجموعها (47) حديثاً موقوفاً.

3 ـ إسرائيليات، وأكثرها يدور على كعب الأحبار، وكلّ الأسانيد إليه لا تصح. والباقي من الإسرائيليات عن غير كعب، وفيهم ثلاثة من الصحابة: عبد الله بن سلام، وعبد الله بن عباس، وعبد الرحمن بن عائش الحضرمي؛ وفي صحبة الأخير خلاف، والأسانيد إلى ثلاثتهم ـ في كتاب الربعي ـ لا تصح، وكذا الأسانيد إلى غيرهم..

قال: ومن غرائب ما في هذه الإسرائيليات أن بعضها ينتهي إسناده إلى رجل يوناني..

قال أبو أحمد: والمسند من الإسرائيليات إلى رجل يوناني، أهونُ الشرّين؛ لأن أكثر الأخبار الإسرائيلية قد أُخذت من كتاب يهود المسمى «التوراة»، وقد حكم عليها القرآن بأنها محرفة، وموضوعة..

وقال الألباني في مكان آخر من الكتاب (ص53 ـ 54):

وقد صنّف طائفة من الناس مصنفات في فضائل بيت المقدس وغيره من البقاع التي بالشام، وذكروا فيها من الأقوال المنقولة عن أهل الكتاب، وعمّن أخذ عنهم، ما لا يحلُّ للمسلمين أن يبنوا عليه دينهم، وأمثل مَنْ يُنقل عنه تلك الإسرائيليات «كعب الأحبار ـ كان يهودياً وأسلم»، وكان الشاميون قد أخذوا عنه كثيراً من الإسرائيليات، وقد قال معاوية ـ رضي الله عنه ـ: «ما رأينا في هؤلاء المحدثين عن أهل الكتاب أمثل

من كعب، وإن كُنَّا لنبلو عليه الكذب أحياناً. وقد ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال: «إذا حدثكم أهل الكتاب، فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم، فإما أن يحدثوكم بباطل فتصدقوه، وإما أن يحدثوكم بحقّ فتكذبوه».

ومن العجب أن هذه الشريعة المحفوظة، مع هذه الأمة المعصومة التي لا تجتمع على ضلالة، إذا حدّث بعض أعيان التابعين عن النبي ﷺ بحديث؛ كعطاء بن أبي رباح، والحسن البصري، وأكابر أئمة الدين، توقف أهل العلم في مراسيلهم، وليس بين أحدهم وبين النبي ﷺ إلا رجل أو رجلان أو ثلاثة مثلاً، فكيف بما ينقله كعب الأحبار وأمثاله عن الأنبياء، وبين كعب، وبين الذي ينقل عنه ألف سنة أو أكثر، وهو لم يسند ذلك عن ثقة بَعْد ثقة، بل غايته أن ينقل عن بعض الكتب التي كتبها أحبار اليهود، وقد أخبر اللهُ عن تبديلهم وتحريفهم، فكيف يحلّ للمسلم أن يصدق شيئاً، بمجرد هذا النقل؟ بل الواجب ألا نصدق ذلك ولا نكذبه إلا بدليل يدلُّ على كذبه[1]، وهكذا أمرنا النبي ﷺ.

وفي هذه الإسرائيليات مما هو كذب على الأنبياء، أو منسوخ في شريعتنا، ما لا يعلمه إلا الله.

ومعلوم أن أصحاب النبي ﷺ من السابقين الأولين، والتابعين لهم بإحسان قد فتحوا بلاد الشام بعد موت النبيّ، وسكنوا الشام والعراق ومصر وغير هذه من الأمصار، وهم كانوا أعلم بالدين وأتبع له ممن بعدهم، وليس لأحد أن يخالفهم فيما كانوا عليه، فما كان من هذه البقاع لم يعظموه أو لم يقصدوا تخصيصه بصلاة أو دعاء، لم يكن لنا أن نخالفهم في ذلك، وإن كان بعض مَنْ جاء بعدهم - من أهل الفضل والدين - فعل ذلك؛ لأن اتباع سبيلهم أولى من اتباع سبيل مَنْ خالف سبيلهم. . وقد ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ لما أتى بيت المقدس ليلة الإسراء، صلى فيه ركعتين، ولم يصلّ بمكان غيره، ولا زار».

• **أما ورود بلاد الشام في السيرة النبويّة التي تسمى: المغازي**، فقد بوّب ابن عساكر في تاريخ دمشق «باب: سرايا رسول الله إلى الشام»، وبعوثه الأوائل، وهي

(1) إذا كنت لا تصدق الخبر، ولا تكذبه، فإن ذلك يعني: ألا ترويه.

غزوة دومة الجندل، وذات أطلاح، وغزوة مؤتة، وذات السلاسل، و«بعث أسامة»، وهذه كلها سرايا، جمع سريّة، وهي ما لم يحضر فيها رسول الله بنفسه.

و«غزوة تبوك» وقد حضرها رسول الله، وكانت في السنة التاسعة من الهجرة.

وكانت النيّة معقودة، والطريق مرسومة، لفتح الشام منذ أسري برسول الله ﷺ إلى القدس، وفُرضت الصلاة، وتوجه المسلمون في صلاتهم إلى بيت المقدس ثمانية عشر شهراً بعد الهجرة.. وكانت غزوات رسول الله التي ذكرناها تقع ما بين شمال السعودية، وجنوب الأردن، كانت تمهيداً لفتح الشام كلّه، وقد أتم أبو بكر وعمر فتح الشام تنفيذاً لما فهموه من الأحاديث النبويّة التي رويناها أول هذه الفقرة، وتنفيذاً لما فهموه من تطلعات رسول الله، بعد تمام نشر الدعوة في الحجاز، ونجد واليمن، ولو دامت حياة الرسول بعد العمر الذي كُتب له، لقام بتنفيذ الفتح بنفسه، والله أعلم.